

**الأسس العلمية في التنشئة الاجتماعية
إضاءة نقدية ميدانية**

**أ.د. علي اسعد وطفة
جامعة الكويت – كلية التربية**

مركز الرافدين للدراسات والبحوث الاستراتيجية

<http://www.alrafedcin.com/>

سبتمبر (أيلول) 2012



أ. د. علي أسعد وطفة

جامعة الكويت

الأسس العلمية في التنشئة الاجتماعية إضاءة نقدية ميدانية

خطوات الدراسة :

مقدمة

- 1- تعريف التنشئة الاجتماعية.
- 2- الاتجاهات التقليدية للتنشئة الاجتماعية.
- 3- الاتجاهات العلمية للتنشئة الاجتماعية :
- 4- اتجاهات التنشئة الاجتماعية العربية السائدة (سوريا أنموذجا)
- 5- واقع التنشئة الاجتماعية في العالم العربي
- 6- إضاءة ميدانية حول التنشئة الاجتماعية في سوريا.

خلاصة

الأسس العلمية في التنشئة الاجتماعية

إضاءة نقدية ميدانية

(د. علي أسعد وطفة - جامعة الكويت)

مقدمة:

تتشكل شخصية الفرد على منوال المعايير والقيم الاجتماعية لثقافة المجتمع الذي يعيش فيه. وإذا كان تكيف الكائنات الحية يجري وفق أنظمة غريزية مسجلة في فطرتها، فإن الإنسان هو، الكائن الوحيد في مملكة الكائنات الحية، الذي يتكيف ويتواصل وفقاً لمعايير اجتماعية مسجلة في ثقافته. والإنسان كما يؤكد فلاسفة التربية هو الكائن الوحيد في مملكة الكائنات الحية الذي يغدو إنساناً بالتربية. وينطلق اليوم الأنثروبولوجيون وعلماء الاجتماع والإثنولوجيون من دراسة أساليب التنشئة الاجتماعية السائدة لإدراك خصائص وسمات الشعوب الإنسانية المختلفة. فسمات الشخصية القومية تعود إلى أسلوب ونمط التنشئة الاجتماعية السائدة في المجتمع المعني¹. ومما لا شك فيه أيضاً أن خصائص الشخصية الفردية تعود أيضاً إلى منظومة العمليات التربوية التي أحاطت بالفرد في مرحلة طفولته وشبابه ومن هنا بالذات يمكن أن يشار إلى الأهمية الخاصة لأسلوب التنشئة الاجتماعية في تكون الإنسان إعداداً وتشكيله الاجتماعي.

فالسماة الشخصية كالثقة بالنفس واللامبالاة والاتكالية والقدرة على الإنجاز والشعور بالنقص أو تأكيد الذات والفردية والميل للتعاون وغيرها من السماة الشخصية تعود إلى أسلوب ونمط التنشئة الاجتماعية السائدة في مجتمع ما.

ولا غرو اليوم أن يلجأ علماء النفس والتربية إلى أسلوب التنشئة الاجتماعية السائدة بعض المجتمعات الإنسانية لتفسير بعض الأحداث التاريخية وفي هذا الصدد يمكن الإشارة إلى واقعة جزيرة أوكيناوا التي هوجمت أثناء الحرب العالمية في نيسان عام 1945 من قبل الأساطيل الأمريكية التي قصفت الجزيرة بأطنان من القنابل، وصبت عليها نيرانها المدفعية وتعرضت لقصف متواصل من الطيران لمدة ثلاثة أشهر

حتى ذابت الصخور والكهوف والمغاور، التي كانت الملجأ الوحيد للجنود اليابانيين والسكان الأصليين للجزيرة، وفيما يعد دخلت القوات الأمريكية واحتلت الجزيرة وألقت القبض على من بقي على قيد الحياة من الجنود اليابانيين والسكان الأصليين، وفيما بعد لاحظ علماء النفس بدهشة أن الجنود اليابانيين الأسرى (وهم من الكوماندوس الذين تم اختيارهم وتدريبهم بعناية فائقة على خوض المعارك) كانوا يعانون من اضطرابات وأمراض نفسية بالغة الخطورة وأن هذه الإضرابات كانت متدنية جدا عند السكان الأصليين. ومن أجل تفسير هذه الظاهرة أجريت أبحاث نفسية وابتولجية تبين بمقتضاها للعلماء أن سبب انخفاض درجة الاضطرابات النفسية عند السكان الأصليين للجزيرة ناجم عن أسلوب التنشئة الاجتماعية لسكان الجزيرة الأصليين الذي كان يغدق على الطفل حبا بلا حدود ويمنح الطفل حرية واسعة جدا وخاصة أثناء الرضاعة وتسامحا كبيرا فيما يتعلق باللعب وضبط الإخراج ويترك حتى يسير على قدميه دون إكراه. باختصار التنشئة الاجتماعية السائدة هي تنشئة تقصي كل أشكال الإكراه والعنف والتوتر بعيدا عن حياة الطفل. وباختصار أرجع العلماء سوية الصحة النفسية العالية جدا لسكان الجزيرة الأصليين وقدرتهم على مواجهة الرعب والخوف ولحظات الجحيم إلى أسلوب التنشئة الاجتماعية الذي منحهم طاقة هائلة في مواجهة الصعاب وتحديات الوجود بثبات جأش وقوة وذلك بدرجة أكبر من الجنود اليابانيين الذين أعدوا لويلات الحرب ولمواجهة الجحيم².

1- تعريف التنشئة الاجتماعية.

لا يمكن للمرء أن يقع على تعريف جامع مانع للتنشئة الاجتماعية ومن أجل بناء صورة واضحة لمفهوم التنشئة الاجتماعية يمكن القول بأن التنشئة الاجتماعية هي منظومة العمليات التي يعتمدها المجتمع في نقل ثقافته بما تنطوي عليه من مفاهيم وقيم وعادات وتقاليد إلى أفرادها. ومن أجل بناء صورة علمية للمفهوم يمكن الإشارة إلى نظريتين معروفتين هما؛ الدوركهايمية والفرويدية:

دوركهايم؛ ويعد دوركهايم أول من استخدم مفهوم التنشئة الاجتماعية Socialisation بمعناه التربوي⁽³⁾ وأول من عمل على صوغ الملامح العلمية لنظرية التنشئة الاجتماعية. يقول دوركهايم بصدد تعريفه لغاية التربية: "إن الإنسان الذي تريد التربية أن تحققه فينا ليس هو الإنسان على غرار ما أودعته الطبيعة

بل الإنسان على غرار ما يريده المجتمع⁽⁴⁾ .. فالتربية هي التأثير الذي تمارسه الأجيال الراشدة في الأجيال التي لم ترشد بعد وتكمن وظيفتها في إزاحة الجانب البيولوجي من نفسية الطفل لصالح نماذج من السلوك الاجتماعي المنظم " 5 .

1- فالتنشئة هي العملية التي يتم فيها ومن خلالها دمج ثقافة المجتمع في الفرد ودمج الفرد في ثقافة المجتمع وهي وفقا لهذا المعنى العملية الجدلية التي تربط بين الفرد وبين ثقافة المجتمع

2- هي إزاحة الجانب البيولوجي في الإنسان لصالح الجانب الاجتماعي أو الانتقال بالإنسان من حالته البيولوجية إلى حالته الاجتماعية.

_____ ؛ وعلى خلاف دوركهايم يركز فرويد على أهمية التوحيد أو التقمص في عملية التنشئة الاجتماعية ويعرف التقمص بأنه عملية نفسية يتمثل فيها الفرد مظهرا من مظاهر الآخر أو خاصة من خواصه أو صفة من صفاته⁽⁶⁾ . وتتيح عملية التقمص للفرد أن يتمثل أدوارا اجتماعية جديدة وأن يستبطن مفاهيم وتصورات و قيم المجتمع الذي يعيش فيه ، وذلك عبر سلسلة من العلاقات التي يقيمها الفرد مع الأشخاص الذين يحيطون به ، والذين يشكلون موضوع تقمصه أو نماذج لسلوكه . وتبرز أليات التنشئة الاجتماعية عند فرويد في نظريته حول مكونات الشخصية وفي جدل العلاقات القائمة بين هذه المكونات الذي يبرز أهمية العلاقة بين الجانب البيولوجي و الجانب الاجتماعي ؛ فالهو Le ça ينطوي على الحالة الفطرية الأولية عند الكائن بينما يشكل الأنا الأعلى Le sermon الجانب الاجتماعي الثقافي في شخص الفرد ويرمز إلى العادات والتقاليد الجمعية السائدة في المجتمع .

وبالتالي فإن التفاعل الذي يتم بين الأنا الأعلى والهو عبر تدخل الأنا يمثل الجانب الأساسي في عملية التنشئة الاجتماعية . وعن طريق تفاعل بين عضوية الكائن وثقافة المجتمع يستطيع الفرد ان يتكون اجتماعيا وان يحظى بعضوية الجماعة .

ونلاحظ في هذا الجانب تقارب كبير بين نظرية فرويد ونظرية دوركهايم في العلاقة بين البيولوجي والاجتماعي ، بين العقل الجمعي الذي يشكل شخصية الفرد عند دوركهايم وبين الأنا الأعلى الذي يمثل الجانب الاجتماعي في شخصية الفرد عند فرويد ، ويكمن التباين الأساسي بين النظريتين في أهمية المصدر في عملية التنشئة . ففي الوقت الذي يركز فيه دوركهايم على الجانب

الاجتماعي الخارجي في تكوين وإعداد الفرد لحياة الجماعة الذي يتمثل في "الضمير الجماعي" الذي يمارس أكرها على ضمائر الأفراد، فان عملية التنشئة تتم في نظرية فرويد وفق أليات داخلية نفسية ماثلة في جدول العلاقة بين الفردي والاجتماعي.

1- دور الأسرة في عملية التنشئة الاجتماعية.

الأسرة هي البوتقة التي تتشكل فيها شخصية الفرد. وقد أجمعت تجارب العلماء وتأملاتهم على أهمية الأسرة في رسم خصائص شخصيات الأطفال وخاصة في السنوات الأولى من حياتهم وأعمارهم وأجمعت هذه التجارب أيضا وهذه التأملات على أن الأسرة هي أمضى سلاح يعتمد المجتمع في عملية التنشئة الاجتماعية، وفي بناء شخصية الإنسان القادر على الفعل والمبادرة والإبداع. هذا ويتوقف أثر الأسرة في عملية التنشئة الاجتماعية على عوامل في تركيبها وعلى أجوائها العاطفية ومستواها الاجتماعي والاقتصادي.

عندما يبلغ الطفل الثالثة من عمره يكون قد حقق كما يبين زازو ما يلي⁷ :

1- يكون قد أنجز الجانب الأساسي من تراثه الوراثي.

2- اكتسب القدرة على أن ينتصب على قدميه.

3- اكتسب اللغة

4- يستطيع أن يبدي خصائص انفعالية متنوعة.

وتعود أهمية الأسرة في بناء شخصية الطفل إلى العوامل التالية:

1- أهمية السنوات الأولى من حياة الفرد كما يؤكد العلماء والباحثون.

2- النمو الكبير للطفل خلال سنوات حياته الأولى؛ تشير الدراسات الجارية إلى أن دماغ الطفل يصل

إلى 90% من وزنه في الخامسة من العمر وإلى 95% من وزنه في العاشرة من العمر⁽⁸⁾.

3- قدرات الطفل على التعلم في هذه المرحلة، حيث يقدر بلوم Benjamin.S.Bloom أن الطفل يكتسب

33% من معارفه في السادسة من العمر وترتفع هذه النسبة إلى 75% في الثالثة عشرة من العمر وإلى

100% في الثامنة من العمر وذلك كما هو في الجدول التالي⁽⁹⁾.

النسب المئوية لنمو التعلم العام حتى سن الثامنة عشرة في تصنيف بلوم

%33	%33	6-1
%75	%42	13-7
% 100	%25	18-14

ويؤكد غلين دومان أن 89% من حجم الدماغ الطبيعي ينمو خلال السنوات الخمس الأولى¹⁰. هذا يؤكد كل من ميداني كلاين، وأنا فرويد، والفرد آدلر، وأريكسون، وفروم، ولاكان على الأهمية المطلقة لحياة الطفولة المبكرة وعلى أهمية المراحل الحرجة في النمو التي تتمركز في مرحلة الطفولة المبكرة.

ولا بد لنا هنا من الإشارة إلى أهمية ما يسمى بالمراحل الحرجة للتطور مثل: مرحلة المرأة عند لاكان، المرحلة الأوديبية عند فرويد، مرحلة الرضاعة عند ميداني كلاين، ومرحلة تشكل الهوية عند أريكسون، ومرحلة إرضاء الحاجات عند ماسلو، وهي المراحل التي تعطي أهمية خاصة في عملية التطور وهي مراحل تتمحور في مرحلة مادون الخامسة من عمر الأطفال¹¹. ولا بد لنا في هذا السياق من الإشارة إلى مصداقية الأقوال المأثورة التي تقول إن التعليم في الصغر كالنقش على الحجر، ومن شب على شيء شاب عليه.

2- الاتجاهات التقليدية للتنشئة الاجتماعية

من حالته البيولوجية إلى حالته الاجتماعية يعتمد المجتمع أساليب متباينة في تشكيل الكائن الاجتماعي.

ينطوي مفهوم اتجاه التنشئة الاجتماعية على منظومة من المفاهيم والتصورات والقيم والممارسات والمبادئ التربوية التي تشكل مجتمعة النموذج التربوي المعتمد أو السائد الذي يوجه العملية التربوية. هذا ويمكن أن نميز في اتجاه التنشئة الاجتماعية المحاور التالية؛

1- المبادئ التربوية المعتمدة.

2- الحاجات النفسية والاجتماعية التي يعمل على تلبيتها.

3- الظروف التربوية والاجتماعية المحيطة بالفرد.

4- طبيعة السلطة المعتمدة في عملية التنشئة.

وفي هذا السياق يمكن لنا أن نميز بين الاتجاهات التقليدية للتنشئة الاجتماعية وبين الاتجاهات العلمية الحديثة التي تقوم على أساس معطيات علم النفس وعلم الاجتماع التربوي. هذا ونعني بالاتجاهات التقليدية للتنشئة الاجتماعية الأساليب التربوية التي تقوم على أسس تربوية تقليدية لا تستند إلى معطيات التجربة العلمية الرصينة وهي أساليب لظالما اعتمدها المجتمعات الإنسانية منذ مرحلة طويلة ويمكن لنا أن نميز مجموعة من الأنماط التربوية التقليدية مثل:

1-الاتجاه التسلطي

2-اتجاه الترك والإهمال

3- اتجاه الحماية الزائدة

4-اتجاه التذبذب في المعاملة

5- اتجاه التدليل

6-اتجاه المحابة والتفرقة، ولا بد من الإشارة إلى التداخل الكبير بين هذه الاتجاهات، ويلاحظ

عموما أن التباين بين هذه الاتجاهات يعتمد بالدرجة الأولى على درجة ومستوى السلطة المستخدمة في التعامل مع الطفل ولا بد من الإشارة إلى عوامل غير قابلة للحصر عندما تريد تحديد اتجاه أسلوب التنشئة

الاجتماعية السائدة مثل: مستوى الأسرة الاقتصادي، أعمار الآباء، ثقافة الآباء، الفارق العمري بين الأبوين، عمر الطفل، مكانته بين إخوته، وغير ذلك من العوامل الاجتماعية والثقافية. لن نستفيض هنا في عرض هذه الاتجاهات، سنلمح إليها لأن كل أسلوب يحتاج إلى محاضرة كاملة ولكننا سنعمل على تحديد كل أسلوب والإشارة إلى أبرز نتائجه الأساسية.

1-

يقوم على مبدأ الإلزام والإكراه والإفراط في استخدام السلطة الأبوية ويقوم على مبدأ العلاقات العمودية العلاقات بين السيد والمسود بين الكبير والصغير بين القوي والضعيف بين التابع والمتبوع ويمارس العنف هنا بأشكاله النفسية والفيزيائية ويقوم:

1- على أساس التباين في القوة بين الأب والأم.

2- اللجوء إلى العنف بأشكاله.

3- المجافاة الانفعالية والعاطفية بين الآباء والأبناء.

4- وجود حواجز نفسية وتربوية بين الآباء والأبناء.

ويتم اللجوء هنا إلى أساليب القمع والازدراء والاحتقار والتهكم والامتهان والتبخيس، وأحكام الدونية والتخويف والحرمان والعقاب الجسدي، وهناك غياب كامل لعلاقات الحب والحنان والتساند والتعاطف. ويكمن أسلوب التسلط هذا في أصل العقد والأمراض النفسية مثل: عقدة النقص، عقدة الخشاء والخفاء الظني، عقدة أوديب، عقدة الإهمال، عقدة المنافسة الأخوية، عقدة الذنب، وعقدة فقدان الأمن. والاتجاه التسلطي في التربية يمكنه أن يفسر مختلف مظاهر الاضطرابات والأمراض النفسية.

2- أسلوب الترك والإهمال:

وقوامه ترك الطفل دونما تشجيع على السلوك المرغوب عنه فالأم لا تستجيب لبقاء طفلها الرضيع والطفل فيما بعد يقوم بأعمال لا يستطيع أن يقوم بها ومن أسباب هذا الأسلوب عدم التوافق الأسري، عدم الرغبة في الطفل، ومن نتائج هذا الأسلوب بناء شخصية هامشية قلقة متوترة. ويؤدي إلى فقدان الثقة بالنفس فقدان الإحساس بالأمن وعقدة الإهمال.

-3-

يعد اتجاه التذبذب في المعاملة من أخطر الأساليب التربوية في التأثير على سلامة وأمن الشخصية الإنسانية. ويتمثل هذا الاتجاه في عدم استقرار الأب أو الأم من حيث استخدام أساليب الثواب والعقاب، هذا يعني أن الطفل قد يثاب في موقف ما ثم يعاقب مرة أخرى للموقف عينه. وهناك أمثلة كثيرة لأساليب المعاملة الوالدية. وقد يكون هذا التذبذب نتيجة اختلاف الأب والأم في معاملة الطفل ويكون ذلك عندما تعامل الأم طفلها بحنان وحب بينما يعامله الأب بخشونة وعنف. فالأب كما هو سائد في تربيتنا يجرح والأم تداوي، الأب يكسر والأم تصلح."

وغالبا ما يترتب على هذا الاتجاه شخصية متقلبة ازدواجية منقسمة على نفسها وهي موجودة في حياتنا اليومية، فالطفل الذي عانى من التذبذب في معاملته غالبا ما يعاني من ازدواجية الشخصية ومن صراعات داخلية لا حدود لها، ويمكن للإفراط في استخدام هذا الأسلوب أن يؤدي إلى اضطرابات نفسية بالغة الأثر.

يتفق المربون على أن أسلوب التربية الثابت في معاملة الأطفال يؤدي إلى نتائج تربوية إيجابية. حيث يجب على الأب ألا يكون قاسيا والأم عطوفة أو بالعكس، وذلك ليجنبا أطفالهما الصراع الناشئ من تناقض المعاملة والذي له أسوأ الآثار في نفوسهم، لأن ذلك يؤدي بهم إلى الاضطراب النفسي وعدم الثقة بالنفس والانحراف في السلوك¹².

-4-

يتمثل هذا الاتجاه في قيام أحد الوالدين أو كلاهما بتوفير أجواء حماية مبالغ فيها حيث يقومون بالواجبات التي يفترض أن يقوم بها الطفل. وهناك أسباب لمثل هذه الأسلوب مثل الطفل الوحيد الذي تخاف عليه الأم، وتبالغ في حمايته، أو الولد الذكر بين مجموعات إناث ومثل هذا الأسلوب يقتل في الطفل روح الاستقلال والنزعة إلى المبادرة فينشأ ضعيفا وهنا اتكاليا، ويترتب على ذلك عدم قدرة الطفل على التكيف في إطار حياته الاجتماعية اللاحقة. وترتبط مظاهر فقدان الثقة بالنفس والاتكالية المفرطة بنمط هذا الأسلوب المتبع في التربية.

يقوم هذا الأسلوب على التمييز بين الأطفال: بين الذكور وبين الإناث، بين الكبار وبين الصغار، وهذا الأسلوب يولد إحساس العقدة الأخوية وفقدان الثقة بالنفس ويولد الاضطرابات النفسية.

:

- 1- لا تعتمد هذه الأساليب على أسس علمية في التربية.
- 2- لا تعتمد على مبادئ تربوية معاصرة.
- 3- تؤدي إلى بناء عقد النقص والقصور والدونية والاضطرابات النفسية في مستوياتها المختلفة.

3- الاتجاهات العلمية للتنشئة الاجتماعية؛

ما نعنيه بالاتجاهات العلمية يتمثل في غاية ما يمكن للتربية أن تكون عليه في صورتها العلمية ويشير هذا المفهوم أيضا إلى الأسس العلمية التي تنطلق منها عملية التنشئة نحو آفاق بناء الإنسان وتحقيق ازدهاره وتكامله. ويمكن أن يشار في هذا الصدد إلى الغايات المتوازنة التي تسعى إلى تحقيقها العملية التربوية.

يعرف بستالوتزي " التربية بأنها النمو المتناسق لكل قوى الفرد النفسية " ¹³. فالتربية هي عملية نمو الفرد وازدهاره وتكامله السيكولوجي وهذه هي الحقيقة التي تؤكد سائر النظريات الحديثة في علم النفس.

مما لا شك وعلى خلاف الأساليب السابقة يعتمد الاتجاه العلمي في التربية على منظومة من الأسس العلمية والنفسية والاجتماعية وينطلق من معطيات علم النفس والاجتماع والتكنولوجيا التربوية وهذه الأسس هي:

- 1- معطيات علم النفس الفيزيولوجي في النمو.
- 2- معطيات علم النفس التربوي مراحل النمو النفسي عند الطفل.
- 3- معطيات علم الاجتماع وعلم التربية والتكنولوجيا التربوية.
- 4- يعتمد على المبادئ التربوية الحديثة.
- 5- يعتمد على مبدأ إرضاء الحاجات النفسية والاجتماعية للطفل.

6- ينطلق من مبدأ الإدراك الذاتي للسيرة التاريخية النفسية للأبوين.

ويقوم علم التربية الحديث على أساس علم النفس ومعطياته ز ومن هذا المنطلق فإن التنشئة العلمية يجب أن تقوم على أساس معرفي رصين يتعلق بوضعية نمو الفرد ومراحل هذا النمو وذلك على المستوى الانفعالي والعقلي والجسدي والاجتماعي. ويمكن في هذا الصدد الإشارة إلى أهمية علم نفس الطفولة والمراهقة والذي يركز على نظريات بالغة القوة والاعتدال مثل؛ نظرية فرويد (Sigmund Freud) (1856-1939) التي قدمت للبشرية إمكانيات هائلة في معرفة خصائص النفس الإنسانية وفي تحديد مراحل النمو السيكولوجي للشخصية وفي الكشف عن متهات علم نفس الأعماق الإنسانية، ويمكن الإشارة إلى نظرية جان لكان كإحدى الأبعاد المتطورة لنظرية التحليل النفسي وخاصة في تحديد بنية اللاشعور اللغوية وفي الكشف عن متهات جديدة في أعماق النفس الإنسانية، وفي هذا الصدد يمكن الإشارة إلى نظرية جان بياجيه (Jean Piaget) (1896-1983) البنائية التي قدمت للفكر الإنساني معالم جديدة لمفاهيم النمو والتطور العقلي والمعرفي عند الأطفال، ويمكن الوقوف أيضا عند نظرية ميداني كلاين (Melanie Klein) وخاصة في تأكيدها على خصوصية الأنا والطفولة وانبثاق الذات في مرحلة الرضاعة المبكرة، ومن النظريات الهامة يشار بالبنان إلى أعمال الفرد بينيه (Alfred Binet) (1857-1911) وخاصة في مجال الكشف عن طبيعة القدرات العقلية عند الأطفال وبناء مقاييس الذكاء، وآنا فرويد، والفرد آدلر (A. Adler) (1870-1937)، وكارل يونغ (Jung) (1875-1961)، ثم إريك فروم (Erich Fromm) (1900-) وباختصار تنطلق التنشئة الاجتماعية العلمية من معرفة متكاملة حول أساليب الدفاع والعمليات النفسية مثل؛ النكوص Regression والكبت Réfoulement والتثبيت Fixation والإسقاط Projection والعقد النفسية Complexes، والتسامي Sublimation والتحويل Displacement. وفي هذا السياق لا بد لدينامية التنشئة العلمية أن تنطلق من كيفية تشكل الخبرات الطفولية الأولى ودورها في بناء الإنسان، ومن ثم دور المراحل الحرجة للنمو.

ومما لا شك فيه أن التربية لم تعد تنطلق من معطيات علم النفس فحسب بل تسعى إلى تحقيق غايات نفسية قوامها تحقيق التوازن والتكامل النفسي عند الفرد، من هنا فإن المعرفة في مجال تكون الشخصية نفسيا يشكل المسند الأساسي في عملية التنشئة الاجتماعية.

1- كيف تنمو قدرات التفكير عند الطفل (جان بياجيه J. Piaget، نموذجاً).

- 2- كيف تنمو القدرات الانفعالية (سيغموند فرويد S. Freud ، نموذجاً).
- 3- كيف تنمو القدرات الاجتماعية (إميل دوركهايم Emil durkheim ، نموذجاً).
- 4- تحديد حاجات نمو الشخصية (ابراهيم ماوسلو A.Maslow نموذجاً).

7-

يقول المربي السويسري الشهير كلابارايد أحد رواد التربية الحديثة؛ لا تستطيع أبداً أن تسقي حماراً لا يشعر بالعطش " (14). وفي هذه المقولة يكمن واحد من كبريات أسرار العملية التربوية التي ترتبط بالحاجات الأساسية للوجود الإنساني.

تسعى التربية العلمية إلى تأمين حاجات أساسية من أجل سلامة النمو النفسي، وهناك تصنيفات عديدة لمثل هذه الحاجات مثل تصنيف ابراهيم أوسلو ومن أبرز هذه الحاجات:

1- الحاجات المادية كالحاجة إلى الطعام والشراب.

2- الحاجة إلى الأمن.

3- الحاجة إلى الحب.

4- الحاجة إلى الانتماء.

5- الحاجة إلى الحرية.

6- الحاجة إلى الاستقلال.

7- الحاجة إلى اثبات الذات.

8- الحاجة إلى التقدير الاجتماعي.

هذه الحاجات تشكل في الوقت نفسه مشاعر الإحساس بالهوية عند إريكسون وتشكل في الوقت نفسه مبادئ التربية الحديثة ومنطلقاتها.

وبالتالي فإن تأمين هذه الحاجات يشكل منطلق التربية العملية الرصينة ويختلف تصنيف أهمية هذه الحاجات بين نظرية وأخرى إلا أن جميع النظريات مثل نظرية ماسلو ونظرية ماكدوغال ونظرية إريكسون تركز على أهمية هذه الجوانب المختلفة التي أشرنا إليها. وهم يركزون على أهمية هذه الحاجات بوصفها

المنطلق الأساسي لتشكيل الهوية ولتشكيل الوحدة الشخصية للفرد وبالتالي من أجل الوصول إلى ما يسمى بالصحة النفسية للفرد.

-

يعطي إبراهيم ماوسلو الحاجة للأمن أهمية وألوية خاصة فهي تلي الحاجات البيولوجية مباشرة¹⁵. وتتمثل الحاجة للأمن في توفير الشروط الأساسية للوجود والاستمرار، ويعني ذلك تأمين الحماية ضد مخاطر الوجود، والحاجة للأمن هي استمرار للوضعية الجنينية للطفل أثناء مرحلة الرحم حيث يريد أن يكون بعيداً عن أشكال الخطر والخوف والتهديد والألم والمخاطر المختلفة جميعها.

ومن التجارب التي أجريت في هذا المجال تجارب الأمهات الصناعية حيث قام العلماء بتصميم نموذجين للأمهات الصناعية ووضعوا صغار القردة معها منذ الولادة؛ يتكون النموذج الأول من أم مصنوعة من أسلاك معدنية عارية مزودة بثدي صناعي تتغذى منها صغار القردة، وإلى جانب الأم الصناعية المغذية التي تعطي الحليب صنع نموذج آخر لأم صناعية أخرى مغطاة بجلد أملس ناعم، وقد لوحظ أن صغار القردة عندما تتعرض للخوف والخطر تسرع إلى الأم الصناعية ذات الملمس الناعم لأن هذا النموذج يوفر للصغار دفء الأم ونعومتها، وفي ذلك إشارة عميقة لأهمية الإحساس بالأمن عند صغار الحيوانات وهو الأمن الذي يمكن لحنان الأم أمن يوفره¹⁶.

-

الحب حاجة إنسانية أصيلة تضرب جذورها في العمق الإنساني، وهي من أهم الحاجات الانفعالية عند الأطفال، وهي بالتالي ضرورية لوجودهم ونموهم وقديماً قيل بالحُب يحيا الإنسان. والحُب عامل ازدهار وتكون وصيرورة إنسانية. وهو قيمة إنسانية تتنافى مع كل صيغ القسوة والإكراه، ومن هنا فإن التربية الديمقراطية تناشد الحُب الشامل وتنميه في قلوب الأطفال وتحيطهم به بلا حدود، لأنها تشكل الركن الأساسي وحجر الزاوية في أية تربية ديمقراطية خلاقية.

لقد بينت التجارب أن أطفال الملاجئ غالباً ما يتجرعون كأس الموت عندما يحرمون من حُب الأم وحنانها ورعايتها. في عام 1915 لاحظ طبيب في مشفى جونز هوبكينز أن 90% من أطفال الملاجئ الذين أدخلوا إلى ميّاتم ودور الحضانة في بالتيمور بولاية ماريلاند (الأمريكية) ماتوا خلال العام الأول من إدخالهم رغم أنهم حظوا بعناية ورعاية¹⁷. وفي عام 1985 توصل باحث في التحليل النفسي بأن انعدام

عناية الأم وإثارتها لطفلها وإظهار حبها له يؤدي إلى تخلف حسي في عاطفته وإلى معدل وفيات عالية. لقد تبين له خلال دراسة أجراها حول عينة من أطفال الملاجئ أن 24 طفلا من أصل 91 طفلا قد ماتوا رغم الطعام الجيد والعناية الطبية الفائقة¹⁸.

وفي هذا المسار يمكن الإشارة إلى تجربة فريدريك الثاني حاكم صقلية في القرن الثالث عشر - وكان هذا الحاكم شاعرا موهوبا وفنانا وعالما طبيعيا - التي حاول من خلالها أن يعرف ما اللغة التي يتكلمها الأطفال عندما يكبرون إذا لم يسمعوها كلام أحد هل هي اللغة العبرية أم اللغة العربية أم اللاتينية ؟ ومن أجل هذه الغاية دفع بعدد من الأطفال حديثي الولادة إلى مرضعات ومربيات يقمن بالرعاية والرضاعة وذلك من دون أن يصدر عن المربيات أي صوت، أكان مناغاة أم كلاما، لقد ذهبت تجربة فريدريك سدى لأن جميع الأطفال تجرعوا كأس الموت لأنهم لم يستطيعوا أن يعيشوا من غير حب، يتمثل في المناغاة والمداعاة والابتسامات والأصوات¹⁹. ولقد قام بهذه التجربة من قبل بسماستيك فرعون مصر وحدث أيضا أن أجريت مثل هذه التجربة في عهد الملك جيمس الرابع في اسكتلندا عام 1500 وقد لاحظ المجربون أن الطفل لا يتكلم أية لغة وأن أكثر الأطفال كانوا يتجرعون كأس الموت ويضاف إلى ذلك أن هؤلاء الأطفال (من بقي منهم) كان من الصعب بمكان أن يتعلموا اللغة²⁰. ويشير ذلك كله إلى أهمية الحب كحاجة أساسية للوجود الإنساني برمته ويعد الحب من أهم الحاجات الانفعالية عند الأطفال على الإطلاق، والطفل الذي يعاني من الحرمان العاطفي سيعاني في المستقبل من اضطرابات نفسية ومن قابلية واسعة للانحراف، وللحب شرطان أساسيان؛

1- أن ينهل الطفل من حب الآخرين.

2- أن يصدق حبه على الآخرين وعلى نفسه أيضا.

تمثل الحاجة إلى الانتماء إحدى الحاجات الأساسية للنفس الإنسانية وتجسد ركنا أساسيا من أركان الإحساس بالهوية. فالإنسان كائن اجتماعي لا يستطيع الاستمرار في الوجود إلا في إطار جماعة وأسرة ومجتمع، ومن غير ذلك فإن الإنسان يتعرض للفناء، فالانتماء إلى الأسرة وإلى جماعة الأقران وإلى مجتمع هي شروط أولية وأساسية للوجود الإنساني وهو شرط من شروط امتلاك الهوية عند أريكسون وغيره.

-
:

يعد مبدأ الحرية المبتدأ والخبر في التربية الديمقراطية، وبأخذ هذا المبدأ صيغا متنوعة أبرزها الحرية النفسية للطفل فالحرية الجسدية ومن ثم الحرية العقلية. ونعني بالحرية النفسية أن لا يكره الطفل على تبني مواقف انفعالية مثل مشاعر الحقد والكراهية والنفور وأن يترك للطفل حرية التكون السيكولوجي وفقا لمعايير موضوعية قوامها التسامح والتضحية والعطاء.

ويقصد بالحرية العقلية أن لا يشحن ذهن الطفل فيما لا يرغب فيه وأن يفكر فيما ليس من شأنه وأن يكره على تبني معتقدات وقيم خارجة على إرادته أو اهتماماته الطفولية. أما الحرية الجسدية فتتمثل في أن يترك للطفل وخاصة في مراحل حياته الأولى حرية اللعب والحركة والإنطلاق دون قيود أو حدود تعيق عملية نموه وازدهاره. والحرية هي التي تتيح للفرد أن ينمو ويزدهر نفسيا واجتماعيا وعقليا بصورة متوازنة. هذا وتعد الحرية ركنا أساسيا من أركان الوجود والكينونة الذاتية للفرد²¹.

-
:

تنطلق التربية الديمقراطية من مبدأ التربية الاستقلالية. والتربية الاستقلالية هي التربية التي تهتم بتعويد الطفل الاعتماد على نفسه في حل مشكلاته وفي قضاء حاجاته وذلك بالقدر الذي تسمح له قدراته القيام به.

وتشير أوجه النشاط النفسية للطفل إلى ميله الشديد إلى بناء صور خيالية مشحونة بالقوة والقدرة والطاقة. هذا ويمتلك الطفل نزعة حيوية إلى تحقيق استقلاله وبناء تجربته الذاتية في الوجود.

والتربية الاستقلالية تتنافى مع التربية الاتكالية التي لا تتيح للطفل الاعتماد على نفسه في حل مشكلاته وفي قضاء حاجاته وذلك على الرغم من تمتعه بالقدرات التي تعينه على القيام بها. وبالتالي فإن الشعور بالاستقلال هو الوجه الآخر للشعور بالإنتماء وينمو هذا الشعور في جدل العلاقة بين الأنا والهو والأنا الأعلى والواقع عند فرويد وذلك عن طريق توحدات الطفل المتتابعة مع ذويه. وتعد الحاجة إلى الاستقلال وقوامها الاعتماد على الإمكانيات الذاتية وعلى الجهد المركزي واحدا من المنطلقات الأساسية للوجود الإنساني.

- : _____

تعد الحاجة إلى التقدير الاجتماعي واحدة من الحاجات الدينامية للوجود. وتنطوي هذه الحاجة على جانبين أساسيين؛ يتمثل الأول في أن يحظى المرء على حب الآخرين وتقديرهم وخاصة في أحضان الجماعات المرجعية كالأسرة والمدرسة وجماعات الرفاق، ويتمثل الجانب الآخر في احترام الذات وتقديرها. وغني عن البيان احترام الذات ينبثق عن احترام الآخرين وأن صورة الذات مرهونة إلى حد كبير بالانطباعات التي يسجلها الآخرون عن الفرد. ومن هذا المنطلق يجب الابتعاد عن كل ما من شأنه تبخيس شخصية الطفل والحط من شأنه.

قيمة الإنسان وإحساسه بوجوده وكيونته مرهون إلى حد كبير بالقيمة الاجتماعية التي يجسدها في إطار حياته الاجتماعية، فالإنسان يتعطش إلى احترام الآخرين وحبهم وأن يكون ذلك قائماً على أساس الأهمية والقيمة التي يمتلكها في المجتمع. ويحافظ إرضاء هذه الحاجة على توازن الإنسان وعلى صحته النفسية.

- _____ .

الإنسان يريد أن يعتمد على خبرته الذاتية وعلى مكانته الخاصة ليثبت وجوده، وتعني هذه الحاجة تجسيدا لحالة الشعور بالإستقلال حيث يترتب على الطفل في هذا المستوى أن يحقق ذاته وأن يمتحنها في ميادين الحياة وذلك في سياق التجارب المختلفة. وتشكل تلبية هذه الحاجة التي لا تنفصل عن الحاجات الأخرى منطلقاً من منطلقات الوجود والإحساس بالكينونة الذاتية للفرد.

” فالمعلومات ليست هي التي تخلق الرجال وأنه لا يكفي للمرء أن يتعلم لغات عديدة وأن يعرف حساب اللامتناهيات كيما يستحق الثقة ويكون مصدرا لسعادة أولئك الذين يحيا معهم ويكون نافعا للمجتمع قادرا على العطاء له ²³.”

يجب على الآباء عندما يريدون تطبيق التربية العلمية الجادة والرصينة أن يدركوا سيرتهم التربوية السابقة في مرحلة الطفولة، لأن إدراكهم لهذه المرحلة سيكون له أثر كبير في تفسير الأخطاء الكبيرة التي يعودون فيها أثناء ممارسة عملهم التربوي.

الآباء الذين عاشوا في بيئات متسلطة يميلون إلى التسلط وهؤلاء الذين عاشوا في بيئات متسامحة يميلون إلى التسامح، ويجب على الآباء أن يدركوا وضعية وجودهم الاجتماعي فواجبات العمل وضغط الحياة ربما تؤدي إلى استخدام أسلوب الشدة في التربية.

:

تبين الدراسات الجارية في ميدان التنشئة الاجتماعية ما يلي :

الأطفال الذين يعيشون في أوساط اسرية تعتمد التنشئة الاجتماعية الديمقراطية :

- 1- أكثر ذكاء وقدرة على التحصيل.
- 2- أكثر قدرة على التكيف الاجتماعي.
- 3- أكثر قدرة على الإنجاز.
- 4- أكثر قدرة على الانهماك في نشاط عقلي تحت ظروف صعبة.
- 5- أكثر اعتمادا على النفس وميلا إلى الاستقلال.
- 6- أكثر اتصافا بالود وأقل عدوانية.
- 7- أكثر تلقائية وأصالة وابتكار.

فالأطفال الذين يعانون من عقد النقص والقصور والدونية هم هؤلاء الأطفال الذين خضعوا لتنشئة اجتماعية تقليدية متصلبة في مراحل طفولتهم الصغرى.

ويمكن أن نستعرض هذا الجدول للمقارنة بين السمات التي يعززها كل من أساليب التربية الديمقراطية والتسلطية

مقارنه بين السمات التي يعززها أسلوبا التنشئة الديمقراطية والتسلطية

تربية تسلطية (تقليدية)	()
التبعية	الاستقلال
الأناية (مركزية الذات)	النزعة الاجتماعية
كسل واحباط	المواظبة والانجاز
الاضطرابات الانفعالية	التوازن الذاتي (ضبط الذات)
التوافقية	الابداع
العدوانية	المودة
القلق	الاحساس بالأمن
الحزن والاكتئاب	الفرح والسعادة

5 - واقع التنشئة الاجتماعية في العالم العربي

يعيش الطفل العربي في عالم من العنف المفروض داخل الأسرة والذي يجسد إلى حد كبير اعتبار السلطة الأبوية²⁴. وهو في هذا السياق يعيش بين إكراهات الحب الأمومي وبين إكراهات القسر الأبوي، فحب الأم العربية لأبنائها بكل ما يتميز به من حرارة عاطفية يغلب عليه الطابع التملكي. يقول مصطفى حجازي في هذا الصدد؛ تفرض الأم هيمنتها العاطفية على أطفالها.. وتشل في نفوسهم كل رغبات الاستقلال وتحيطهم بعالم من الخرافات والغيبيات والمخاوف، فينشأ الطفل انفعاليا خرافيا عاجزا عن التصدي للواقع من خلال الحس النقدي والتفكير العقلاني²⁵. وهذا يعني أن الطفل يعيش بين إكراهين بين حب الأم الذي يسحق شخصيته وبين تسلط الأب الذي يمحق وجوده.

إن نظرة متأنية لواقع التربية العربية تؤكد أن التربية مغرقة في تقليديتها وذلك على مستوى المدرسة وعلى مستوى الأسرة وفيما يلي نقدم وصفا لملامح هذه التربية:

- 1- أسلوب التنشئة الاجتماعية أسلوب تقليدي يعتمد على التسلط والإكراه.
- 3- يسود أسلوب الضرب والعقاب الجسدي في المدرسة والأسرة.
- 4- يسود أسلوب التحقير والإذلال والازدراء في الأسرة والمدرسة.
- 5- تتداخل في أساليب التنشئة العربية أساليب الشدة والتذبذب والمحابة والترك والحماية الزائدة بنسب مختلفة.

6- تعتمد التربية العربية على المبادئ التقليدية التي ذكرناها سابقا ومنها:

أ- الطفل ينطوي على نزعة شريرة

ب- تقديم التعليم على التربية

ج- الطفل راشد صغير

د- التربية إعداد للحياة وليست هي الحياة

هـ- التربية ترويض وليست تحرير.

وهذه التربية تعود الإنسان على الإحساس بكل مشاعر الضعف والنقص والقصور والدونية والإحساس بالذنب.

لقد بينت إحدى الدراسات التي أجرتها الدكتورة إحسان محمد الدمرداش في مصر العربية في عام 1980 أن الأمهات المصريات يعتمدن الأسلوب التقليدي القديم في تربية الأطفال وهو أسلوب الشدة في تربية الأطفال وأكدت هذه الدراسة أن الأم المصرية تنظر إلى حرية الطفل في التعبير والمناقشة بوصفها جرأة شديدة لا يسمح بها، وذهب الآباء إلى حد التوصية بمبدأ الضرب لأن ما نشاهده من مظاهر مرضية ويعود برأيهم إلى التربية المتساهلة والحرية في مرحلة الطفولة²⁶.

وفي دراسة أجرتها جامعة الاسكندرية²⁷ حول موضوع بناء الإنسان المصري وأساليب التنشئة الاجتماعية السائدة لديه تبين ما يلي:

1- المجتمع المصري مجتمع أبوي بالدرجة الأولى

2- تقوم الأم بالدور الرئيسي في التنشئة الاجتماعية

3- تقوم التنشئة الاجتماعية على أساس الشدة والعنف.

إن إحدى الأركان الأساسية للتنشئة الاجتماعية في الثقافة العربية تتمحور حول مبدأ تطبيع الطفل العربي على الانصياع والخضوع للكبار سواء أكان ذلك عن طريق التسلط أم عن طريق الرعاية الزائدة²⁸. وفي دراسة شمولية أجراها المجتمع المصري عبر عينة قوامها ألف أسرة مصرية عام 1974 تبين أن قيمة الفرد ومكانته تتحددان بعوامل الجنس والسن وليس بما يسهم فيه الفرد من نشاط أو بما يتحمله من مسؤوليات مما يؤدي إلى إنتاج شخصيات جامدة متسلطة هذا من جهة وتبين الدراسة من جهة أخرى أن الأب هو مركز السلطة وأن الأجواء السائدة في الأسرة هي أجواء التسلط وأن هذه الأجواء تعطل إمكانيات الإبداع وتدفع الفرد إلى دوائر الجمود والانصياع والسلبية²⁹. وبينت الدراسة أيضا أن الأسرة العربية المصرية تستخدم العقاب البدني في التربية ولاسيما في الطبقات الشعبية بينما تلجأ إلى إثارة الألم النفسي عند الأسرة في الطبقات الوسطى.

وتشير أغلبية الدراسات العربية الجارية إلى أن التنشئة الاجتماعية العربية تسعى إلى خلق الطاعة والأدب عند الطفل والأساليب التي يلجأ إليها غالبا هي: العقاب البدني، ثم خلق المخاوف عند الطفل عن طريق كائنات خرافية³⁰. وتكاد تجمع الدراسات الجارية أن الأسرة العربية تركز إلى أسلوب التسلط وليس ذلك غربيا فالآباء يرضون تحت عبء التسلط كقيمة في الثقافة العربية وهي قيمة تسود الحياة الاجتماعية برمتها في الثقافة العربية المعاصرة ويكاد يكون هذا التسلط واحدا في البلدان العربية جميعها على اختلاف ثقافتها الفرعية³¹.

وغني عن البيان أن الأمثال الشعبية العربية تتمحور حول القيم التقليدية وخاصة قيم العنف والضرب والترويض ويمكن أن نذكر منها على سبيل المثال؛ العلم في الصغر كالنقش في الحجر. (ما بيربي ولد ليفنى جسد)، اضراب ابنك وأحسن تأديبه، (اكسر للعليل ضلع بيطلعله اثنين)³²، (يلّي ما بيقسى قلبه ما بيربي ولدو)، ويقول الأب العربي لمعلم أبنه على سبيل المثال؛ أعطيك ابني لحما وعظما فلك اللحم ولي العظم، ويعني ذلك أن الأب يشجع المعلم على استخدام كل أعمال القسوة والضرب لتربية الطفل. هذه الأقوال الماثورة تعبر عن خلاصة ثقافة أبوية ارهابية متسلطة يمكنها أن تقتل في الأطفال كل معاني ونوازع الفعل والوجود والعطاء.

يصف حليم بركات أنماط التنشئة الاجتماعية العربية بأنها؛ ما تزال تشدد على العقاب الجسدي والترهيب أكثر مما تشدد على الإقناع كما تؤكد على أهمية الضغط الخارجي والتهديد والقمع السلطوي،

إنها تركز على مبدأ الحماية والطاعة والامتثال والخوف من الأخطار وتجاوز الحدود المرسومة حيث تنشأ عن ذلك نزعة نحو الفردية والأنانية والتأكيد على الذات ونحو الإحساس الشامل بالغربة والاعتراب³³ .

هذا ويصف لنا هشام شرابي في كتابه مقدمات لدراسة المجتمع العربي مظاهر العنف والقهر التي يعاني منها الطفل العربي أو هذه التي تسود في إطار التنشئة العربية. فالطفل العربي يشعر بأن أباه يضطهده وهو في الوقت نفسه يشعر بأن أمه تسحقه وتحطم شخصيته. فالتنشئة العربية تنمي في الطفل للإذعان للسلطة والخوف منها. وينوه شرابي إلى أسلوب التخجيل الذي تعتمده الأسرة العربية وإلى أساليب التهكم والإزاء والتبخيس وخلق الإحساس بالدونية وهي أساليب تؤدي فيما تؤدي إليه إلى مشاعر الدونية وإلى عقد النقص والقصور والشعور بالذنب³⁴ . فالطفل العربي يتعلم كيف يقمع عدوانيته تجاه السلطة وكيف يتحاشى مواجهتها وهذا بالضبط ما يؤدي إلى الاتكالية والخضوع³⁵ . وتسعى التنشئة الاجتماعية العربية إلى إخضاع الفرد وكسر شوكتة. ويخلص شرابي إلى القول بأن الوسائل الأساسية للإخضاع في الثقافة العربية هي العقاب الجسدي والتخجيل والاستهزاء والقمع. وذلك كله يؤدي إلى عقد العار والنقص والإحساس بالقصور والدونية⁽³⁶⁾ .

6- إضاءة ميدانية في سوريا

لا تختلف معايير التنشئة الاجتماعية في سوريا عن النموذج السائد في الوطن العربي. فالتنشئة الاجتماعية السائدة تنشئة قوامها الإكراه والتسلط. وحال الأطفال في سوريا ربما ليس أفضل من حالهم في الوطن العربي. وأريد في هذا السياق أن أنوه إلى دراسة أجريت في سوريا على عينة قوامها 400 عائلة سورية وذلك لدراسة أساليب التنشئة الاجتماعية السائدة في سوريا. وبينت الدراسة أن الأساليب التقليدية هي التي تسجل حضورها بقوة في المجتمع السوري المعاصر. لقد بينت الدراسة تعايش أساليب مختلفة في آن واحد هي؛ أسلوب الشدة في المعاملة حيث يفضل 15% من الآباء استخدام هذا الأسلوب، ثم أسلوب التذليل 12.25%، فأسلوب الترك بنسبة 6,5%، وهناك 9.75% يفضلون استخدام الشدة والتشجيع معاً، وبينت الدراسة أن أسلوب التشجيع هو السائد حيث بلغت هذه النسبة 30% من إجابات أفراد العينة³⁷ . ونحن نعتقد بأن مفهوم أسلوب التشجيع المستخدم في هذه الدراسة غامض حيث لا يمكن الحديث عن أسلوب تشجيع بل ربما عن أسلوب ديمقراطي وعلى الرغم من هذه المغالطة الفنية التي

يرتكبها الباحث فإن الدراسة تبين سيادة الأساليب التقليدية في المجتمع السوري. وتوضح هذه الحقيقة عندما نستعرض جانبا آخر من الدراسة وهو مدى استخدام الضرب كوسيلة في التنشئة الاجتماعية حيث تبين الدراسة أن 57% من الآباء يستخدمون الضرب كوسيلة في تربية الأطفال. وبينت الدراسة أن الأمهات أميل إلى استخدام الضرب من الآباء حيث بلغت نسبة اللواتي يستخدمن هذا الأسلوب 75% من الأمهات.

وقد قمنا بدورنا بإجراء دراسة واسعة شملت عينة واسعة من الآباء والأطفال في محافظتي طرطوس والقنيطرة عام 1995 وذلك لدراسة أوجه ومعايير التنشئة الاجتماعية السائدة في سوريا. وقد شملت عينة الأطفال على 650 طفلا من الصف السادس الابتدائي تتراوح أعمارهم بين العاشرة والحادية عشرة من العمر بلغ عدد الذكور في العينة 285 بنسبة 43.8% وبلغت نسبة الإناث 56,2%. وفيما يلي جدولاً يبين توزيع الأطفال وفقاً لمحافظة طرطوس والقنيطرة.

جدول رقم (1)

توزيع أفراد عينة الدراسة من أطفال طرطوس والقنيطرة وفقاً لمتغير الجنس

100	390	%59.0	230	40.1%	160	
100	260	%51.9	135	%48.1	125	
100	650	%56.2	365	%43.8	285	

وقد بلغ عدد أفراد عينة الآباء والأمهات 343 شخصا بلغت نسبة الأمهات فيها 53.3% بينما بلغت نسبة الآباء 46.7% وقد سحبت من أربع قرى في القنيطرة هي خان أرنبه وبئر العجم ومجدولية وطرنجة وهي قرى ممثلة للشرائح الاجتماعية في القنيطرة والثقافات الفرعية الريفية والبدوية. وتضمنت استبانة الدراسة عددا كبيرا من الأسئلة التي تتصل بأسلوب وطابع التنشئة الاجتماعية في الأسرة ولكننا سنكتفي هنا بمعالجة مسألة الضرب الذي يستخدم داخل الأسرة. لنناقش مبدئياً سلوك الآباء وموقفهم من الضرب.

جدول رقم (2) إجابات آباء وأمهات الأطفال في محافظة القنيطرة:

هل تعاقب (تعاقبين) ابنائك بالضرب؟

	%	%	
100	47.5	52.5	
100	30.0	70.0	
100	39.4	60.6	

يبين الجدول السابق أن 60.6% من الآباء يعاقبون أطفالهم بالضرب وهذا يعني أن أسلوب التنشئة الاجتماعية يعتمد على القسر البدني وعلى الإكراه. ويبين الجدول أن الأم تعتمد هذا الأسلوب بدرجة أكبر من الأب حيث بلغت نسبة الأمهات اللواتي يستخدمن الضرب 70% مقابل 52% بالنسبة للآباء. ويعتقد بأن اعتماد الأمهات على أسلوب الضرب يعود بدرجة أساسية إلى تواجد الأم المستمر في المنزل وإلى أن مسؤولية التربية تعود إلى الأم بالدرجة الأولى وتكاد تكون نتائجنا متقاربة إلى حد كبير مع نتائج صفوح الأخرس وهي الدراسة التي أشرنا إليها سابقا.

نتائج الدراسة؛

إجابات الأطفال حول مدى تعرضهم لعقوبة الضرب من قبل والديهم؛

-

أ- مدى استخدام الأب لأسلوب الضرب

أعلن 58,9% من أفراد عينة أطفال محافظة طرطوس أنهم يتعرضون لعقوبة الضرب من قبل الوالد وذلك مقابل 41,1% وهذا يعني أن الأب يمارس أسلوب العقوبة البدنية غالبا في تنشئته للأطفال. ويبين الجدول رقم (3) أن الذكور أكثر تعرضا للضرب من قبل الأب وذلك قياسا للإناث؛ 70.4% من الذكور يتعرضون لضرب الوالد وذلك مقابل 51.3% من الإناث.

جدول رقم (3) إجابات أطفال محافظة طرطوس:

هل يعاقبك أبوك بالضرب ؟

	%	%	
100	29.6	.	
100	48.7	51.3	
100	41.1	58.9	

يشكل استخدام أسلوب الضرب واحدا من المنطلقات الأساسية للتنشئة الاجتماعية الأمومية في محافظة طرطوس حيث تلجأ 93,9% من الأمهات إلى استخدام العقوبة الجسدية ضد أبنائهن وهناك تقارب في مستوى تعرض الذكور والإناث إلى عقوبة الضرب من قبل الأم؛ يتعرض 92.7% من الذكور لعقوبة الضرب مقابل 94.7% من الإناث. والمهم هنا أن الأمهات في طرطوس أكثر استخداما لعقوبة الضرب من الآباء وهن يعتمدن اسلوبا واحدا في معاملة الأبناء دون التمييز بين جنسهم، وعلى خلاف ذلك فإن الآباء يلجؤون بدرجة أقل إلى استخدام أسلوب الضرب ومع ذلك فإنهم يستخدمون هذا الأسلوب ضد الذكور بدرجة أكبر.

جدول رقم (4) إجابات أطفال محافظة طرطوس:

هل تعاقبك أمك بالضرب ؟

مجموع	لا %	نعم %	
100	7.3	92.7	ذكور
100	5.3	94.7	إناث
100	6.1	93.9	مجموع

:

أ- مدى تعرض الأطفال لضرب الأب؛

يشير الجدول رقم (5) أن الأطفال يتعرضون لضرب الأب حيث بلغت نسبة من يتعرض لضرب الأب 65.7%. ويبدو أن الذكور أكثر تعرضا لعقوبة الضرب من الإناث حيث أعلن 77.3% من الذكور أنهم يتعرضون للضرب مقابل 55.8%. وهذه الملاحظة قريبة من هذه التي شاهدناها عند أطفال طرطوس.

جدول رقم (5) إجابات أطفال محافظة القنيطرة:

هل يعاقبك أبوك بالضرب ؟

	%	%	
100	32.7	77.3	
100	44.2	55.8	
100	34.3	65.7	

أعلن 81.6% من أطفال القنيطرة أنهم يتعرضون لعقوبة الضرب من قبل الأم. ويبدو أيضا أن الأطفال الإناث أكثر تعرضا لضرب الأم من الأطفال الذكور؛ 92.8% من الأطفال الإناث يتعرضون لضرب الأم مقابل 68,6%.

جدول رقم (6) إجابات أطفال محافظة القنيطرة:

هل تعاقبك أمك بالضرب ؟

	%	%	
100	31.4	68.6	
100	7.2	92.8	
100	18.4	81.6	

:

يتيح لنا الجدول التالي رقم (7) أن نقارن بين مدى اعتماد الآباء والأمهات على أسلوب الضرب وفقاً لمتغيري الجنس والمحافظة.

(7)

%	%	%	%
68.6	77.3	92.7	70.4
92.8	55.8	94.7	51.3
81.6	65.7	93.9	58.9

يبين الجدول السابق النقاط التالية:

- 1- أن الآباء والأمهات يستخدمون الضرب بشكل واسع في كل من محافظتي طرطوس والقنيطرة.
- 2- يلجأ الآباء في محافظة القنيطرة إلى أسلوب العقاب البدني بدرجة أكبر من الآباء في محافظة طرطوس؛ 65.7% مقابل 58.9%.
- 3- تلجأ الأمهات إلى أسلوب الضرب بدرجة عالية جداً وأكبر من الآباء في كلا المحافظتين سواء أكان الأمر يتعلق بالإناث أم بالذكور.
- 4- تلجأ الأمهات في محافظة طرطوس إلى أسلوب العقاب البدني بدرجة أكبر من الأمهات في القنيطرة؛ 93.9% مقابل 81.6%.
- 5- يميل الآباء في المحافظتين إلى استخدام العقاب البدني ضد أبنائهم الذكور بدرجة أكبر بكثير قياساً بأولادهم الإناث.
- 6- بينما تميل الأمهات في طرطوس إلى استخدام أسلوب الضرب بصورة متقاربة بين الذكور والإناث (92.7% ضد الذكور مقابل 94.7% ضد الإناث) نجد أن الفارق كبير جداً في مدى استخدام هذا

الأسلوب عند أمهات القنيطرة؛ أمهات القنيطرة يستخدمن أسلوب الضرب ضد الإناث بدرجة أكبر بكثير منها ضد الذكور؛ 68.6% ضد الذكور مقابل 92.8% ضد الإناث.

يبين الجدول التالي أن 76.4% من الأطفال (ذكورا وإناثا) في محافظة طرطوس يتعرضون لضرب والديهم سواء أكان ذلك من قبل الأم أو من قبل الأب. ويبين الجدول أيضا أن الذكور في هذا السياق أكثر تعرضا للضرب من الإناث؛ يتعرض 81.5% من الذكور للضرب مقابل 72,9% عند الإناث.

جدول رقم (8) إجابات أطفال محافظة طرطوس:

هل يعاقبك أحد أبويك أو كلاهما بالضرب ؟

100	18,5	81,5	
100	27,1	72,9	
100	23,6	76,4	

ويشير الجدول رقم (9) أيضا إلى أن 73.7% من أطفال محافظة القنيطرة يتعرضون لضرب الوالدين أو أحدهما. ويبدو أن الإناث هنا أكثر تعرضا للضرب من الذكور بنسبة طفيفة؛ 72.9% عند الذكور مقابل 74.5% عند الإناث.

جدول رقم (9) إجابات أطفال ريف محافظة القنيطرة

هل يعاقبك أحد أبويك أو كلاهما بالضرب ؟

	%	%	
100	27.1	72.9	
100	25.5	74.5	
100	26.3	73.7	

خلاصة

لو حاولنا الآن أن نقدم صورة شمولية لمستوى استخدام الشدة والعقوبة البدنية بالنسبة لأفراد العينة في المحافظتين يمكن لنا أن نقول بأن **75.3٪** من أطفال طرطوس والقنيطرة يتعرضون لعقوبة الضرب من قبل أحد الوالدين أو كلاهما. وعندما نأخذ معيار الجنس بعين الاعتبار يمكن أن نقول بأن **77٪** من الذكور يتعرضون للضرب من قبل أحد الوالدين أو كلاهما وذلك مقابل **73.5٪** عند الإناث. وهذه المعطيات تؤكد بصورة قطعية أن الأطفال يتعرضون لأساليب القسر والعقوبات الجسدية في المحافظتين بدرجة عالية جدا. وهذه النتائج تعزز ما اوردناه من مقولات حول واقع التربية والتنشئة التسلطية في الوطن العربي.

مراجع الدراسة وهوامشها :

- 1- بيار إيرني، اتنولوجيا التربية، ترجمة عدنان الأمين، معهد الاتحاد العربي، بيروت 1992.
- 2 Frank R. Donovan، Education stricte et education libérale , Robert Laffont , Paris , 1968.(P.74)
- 3- وطفة علي أسعد ؛ علم الاجتماع التربوي، مطبعة الاتحاد، منشورات جامعة دمشق، 1992. (ص؛ 39).
- 4 - غي أفانزيني؛ الجمود والتجديد في التربية المدرسية، ترجمة عبد الله عبد الدايم، دار العلم للملايين، بيروت، 1981. (ص: 330).
- 5 - ريناتا غوروف؛ مقدمة في علم الاجتماع التربوي، ترجمة نزار عيون السود، دار دمشق، دمشق , 1984. (ص؛ 105).
- 6 - مارسيل بوستيك، العلاقة التربوية، ترجمة محمد بشير النحاس المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1981 (ص: 170).
- 7 - فريق من الباحثين؛ علم النفس وميادينه، ترجمة وجيه أسعد، الدار المتحدة، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1993. (ص: 78).
- 8 - خالد الطحان: دراسة بعض العوامل التي تسهم في التحصيل الدراسي ودور الأسرة فيها، المعلم العربي، السنة 31، عدد7 تموز، 1978(ص3).
- 9 - عبد الرحيم صالح عبد الله؛ الأسرة وتعاونها مع المدرسة في تربية الأطفال، كلية الآداب جامعة الكويت 1979 (ص:9).
- 10- وطفة علي أسعد علم الاجتماع التربوي، مرجع سابق، ص79.
- 11- جان كلود فيلو؛ اللاشعور بحث في أعماق النفس الإنسانية، ترجمة علي وطفة، دار معد، دمشق، 1996.
- 12- أحمد مبارك الكندري؛ علم النفس الاجتماعي والحياة المعاصرة، مكتبة الفلاح، الكويت، 1992 (صص 375-427).
- 13- فاخر عاقل؛ التربية قديمها وحديثها، دار العلم للملايين، بيروت 1977 (صك 168).
- 14 عبد الله عبد الدايم؛ التربية عبر التاريخ، دار العلم للملايين، بيروت، 1978. (ص:510).

- 15 رجاء محمود أبو علام؛ علم النفس التربوي، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، 1986، (ص:197).
- 16 بيتر فارب؛ بنو الإنسان مرجع سابق (ص: 428).
- 17 بيتر فارب؛ بنو الإنسان، ترجمة زهير الكرمي، عالم المعرفة، عدد67، يوليو تموز 1983 (ص:13)
- 18 المرجع السابق ص: 13.
- 19 المرجع السابق ص؛ 12.
- 20 محمود السيد؛ في طرائق تدريس اللغة العربية، مطبعة الاتحاد، دمشق، 1981. (ص107)
- 21 إليكس ميكشلي؛ الهوية، ترجمة علي وطفة، الوسيم، دمشق، 1993.
- 22 عبد الله عبد الدايم؛ التربية عبر التاريخ، دار العلم للملايين، بيروت، 1978، ص(505).
- 23 المرجع السابق: (ص؛ 505).
- 24 مصطفى حجازي؛ التخلف الاجتماعي، سيكولوجية الإنسان المقهور، معهد الإنماء العربي، الطبعة الخامسة، بيروت، 1989.
- 25 المرجع السابق: (ص: 82).
- 26 إحسان محمد الدمرداش؛ الديمقراطية وأنماط التنشئة الاجتماعية في المجتمع، بحث أعد لمؤتمر رابطة الدراسة الحديثة الذي عقد في نيسان (أبريل) في القاهرة عام 1984 بعنوان الديمقراطية والتعليم في مصر.
- 27 جامعة الاسكندرية؛ أبحاث إعادة بناء الإنسان المصري (التنشئة الاجتماعية واحتياجات الطفولة) التقرير الثالث، الإسكندرية، 1979.
- 28 محمد عماد اسماعيل؛ الأطفال مرآة المجتمع، النمو النفسي الاجتماعي للطفل في سنواته التكوينية، عالم المعرفة، مارس (آذار) 1986. (ص331).
- 29 انظر محمد عماد اسماعيل & نجيب اسكندر ابراهيم & رشدي منصور؛ كيف نربي أطفالنا؛ التنشئة الاجتماعية للطفل في التنشئة الاجتماعية، دار النهضة العربية القاهرة، 1974.
- 30 محمد عماد الدين اسماعيل؛ الأطفال مرآة المجتمع، مرجع سابق (صك 232).
- 31 المرجع السابق؛ (ص: 232).
- 32 وحيدة العظمة؛ أمثال شعبية في صحة الأسرة والتربية السكانية وسلامة البيئة، وزارة الثقافة، مديريةية محو الأمية دمشق، 1995. (صص: 137 - 146).
- 33 حليم بركات؛ المجتمع العربي المعاصر؛ بحث استطلاعي اجتماعي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 1991.
- 34 هشام شرابي؛ مقدمات لدراسة المجتمع العربي، دار الطليعة بيروت، الطبعة الرابعة، 1991. (صص: 31-35).
- 35 شرابي المرجع السابق (ص: 47).
- 36 شرابي المرجع السابق؛ (ص:83).
- 37 صفوح الأخرس؛ علم الاجتماع العام، مطابع مؤسسة الوحدة، دمشق، 1980. (ص: 206).